عباس خامه يار
المستشار الثقافي الإيراني السابق

الوطن بلا «السفير»، والسفير بدون «طلال سلمان»

لقد كان القلم الساحر البليغ لـ "طلال سلمان"، رئيس تحرير "السفير" هذا الرجل المثقف والأديب القوي، الذي كان دوماً يلهم الآمال، لمطالبي الحق ولرجال المقاومة والمناضلين والأحرار بوجه الاحتلال الصهيوني والاستكبار العالمي

تو في طلال سلمان، مؤسس صحيفة السفير، إحدى أشهر وأكبر الصحف في العالم العربي، عن عمر يناهز ٨٥ عاماً. لقد كانت وفاته ثقيلة ومريرة للغاية بالنسبة للعالم العربي وعالم الصحافة. لذلك، وحفاظاً على اسم وذكرى ذلك الإنسان ذي الفكر الطيب والطاهر والشجاع، أكتب باختصار عن لقائي به منذ فترة في مدينة شمسطار في محافظة البقاع. وشمسطار هي مسقط رأس طلال سلمان وهذا اللقاء كان آخر لقاء لي معه. كما سأنشر مقالي السابق حول إغلاق صحيفة "السفير".

اللقاء الأخير...

خلال رحلتي إلى لبنان، اغتنمت الفرصة لزيارة محافظة البقاع ومدينة شمسطار وزرت صديقي القديم "طلال سلمان". وتوقعت أنه، كغيره من اللبنانيين، سيغادر بيروت ويقضي عطلة نهاية الأسبوع في مسقط رأسه، وفق التقليد القديم.

كان طلال سلمان، مؤسس ورئيس تحرير صحيفة "السفير" الشهيرة، اديباً مشهوراً وشخصية خالدة، ويعتبر من الصحفيين المحنكين القلائل في تاريخ العالم العربي المعاصر. ولقد استقبلنا بودوترحاب كبيرين في منزله. وكان اللقاء لقاءً صادقًا وتمت مناقشة كل شيء. وفور وصولنا، بدأ يتحدث عن ذكريات لقائه ومقابلته الخاصة مع الإمام الخميني (رض) في نوفل لوشاتو وكيف وقف سماحته ورحب به بكل احترام...! كما تحدث عن تواجده في طهران خلال الأيام الأولى لانتصار الثورة الاسلامية ومقابلاته مع أربعين شخصية من شخصيات الثورة، ومن بينهم الشهيد بهشتي والراحل الطالقاني، وعن وصول أول وفد فلسطيني إلى طهران بقيادة "هاني الحسن" أول سفير لفلسطين في إيران والاستقبال الأسطوري للإيرانيين للوفد.. وأشار إلى بعض النقاط حول الذكاء القوي للجمهورية الإسلامية في مواجهة التطورات الراهنة في المنطقة؛ وأيضا عبّر عن وجهة نظره المتفائلة بشأن تطورات العالم الإسلامي رغم الظروف الصعبة الحالية. وأعرب عن اعتقاده بأن هذه "الأمة" ولدت لتبقى، واعتبر تواجد المواطنين للاحتجاج في شوارع الجزائر والسودان وغيرها لمدة ثلاثة أشهر دليلاً حياً على هذا الادعاء. كما أشاد باليمن البطل الذي سيهزم الغزاة ويفضحهم. وأخيراً، تحدث عن ألم انقطاع صوت وإغلاق جريدته، وقال إنه كان يحمل من خلال صحيفته لقب "صوت من لا صوت له"؛ بعد ٤٢ عاماً من الكتابة والنشر المتواصل.. "...لقد كان قرارا صعبا؛ ليس لي انا فقط! بل كان الأمر محزناً لكل اللبنانيين. وكانت هذه الجملة الأخيرة لطلال سلمان قبل أن أودعه.

ثم عرضت عليه مقالي بعنوان "وطن بلا سفير"، أستلهمته من عنوان العدد الأخير من جريدته الذي كتبته بهذه المناسبة في يناير/كانون الثاني ٢٠١٥. كدليل على الشكر والتقدير، فهو قام بالضغط على كتفي بيديه المرتجفتين؛ تنهدنا ومن ثم التقطنا صورة بأمل أن نلتقي مرة أخرى...

اللقاء الذي لم يتحقق..

الوطن بلا «السفير»

كان الخبر سريعاً ومريراً: إنقطع صوت صحيفة السفير اللبنانية!!!

ولعل أنه لم يتوقع أحداً أن الصحيفة التي أسسها صحفي لبناني ثائر ومثالي اسمه "طلال سلمان" في ربيع عام ١٩٧٤ (٢٦ مارس ١٩٧٤) وإنضم من خلالها إلى أسرة الصحافة الكبرى في العالم العربي وأطلق عليها اسم "السفير" بشعار "جريدة لبنان للعالم العربي وجريدة العالم العربي في لبنان"، إستطاعت جذب أكبر عدد من المتابعين والقراء في أقصر وقت ممكن؛ والصحيفة سرعان ما وضعت على عنوانها الرئيسي شعار "صوت من لا صوت له" ووقفت في وجه كل المحن والضغوط التي تعرضت لها المنطقة والعالم العربي، وخاصة فلسطين المحتلة ولبنان منذ الأيام الأولى لصدورها، وجعلت "السفير" مهمة نقل صوت الحقيقة والصادقين أولوية لها، لدرجة أنه في العام الأول من نشاطها، تم استدعاء العاملين فيها إلى المحاكم ستة عشر مرة، وأصبحت الصحيفة صوت أولئك الذين لم تُسمع أصواتهم في أي مكان.

وخلال ٤٢ عاما من صدور الصحيفة، باستثناء ثلاث مرات التي توقفت عن الصدور لمدة أسبوع بأمر من المحكمة، وصلت هذه الصرخة المدوية باستمرار إلى آذان القراء والجمهور في العالم العربي المحب للحرية والمناهض للاستكبار. وكان ضيفاً على نفوس وأرواح المتعطشين لمعرفة الحقيقة وسماع صوت الفضيلة. وحتى في الأيام الصعبة للحروب الداخلية المدمرة في لبنان، وفي الأيام التي كانت فيها قوات الاحتلال الصهيوني المعتدية بالقرب من بيروت، لم يستطع أحد أن يوقف صدور هذه الصحيفة ويسكت صوتها. ولكن كيف يمكن أن نصدق بأن هذه الصحيفة التي لم تستطع أن توقفها الصواريخ والقنابل والاغتيالات ومحاولات اغتيال مسؤوليها وكتابها، واسكات صوتها ومنعها من الصدور، بأنها ستموت لأسباب اقتصادية فقط؟!!! فهل يمكن إسكات الصوت الذي كان معيناً للصادقين وناصراً للحق في ظل الحياة المضطربة والمتأزمة للمنطقة؟

لقد كانت كل كلمة تنشرها السفير دائما رمزا للصمود والمقاومة، وتكشف مخططات الأعداء. لقد كان القلم الساحر البليغ لـ "طلال سلمان"، رئيس تحرير "السفير" هذا الرجل المثقف والأديب القوي، الذي كان دوماً يلهم الآمال، لمطالبي الحق ولرجال المقاومة والمناضلين والأحرار بوجه الاحتلال الصهيوني والاستكبار العالمي لأكثر من أربعة عقود."... إن وضع حزب الله اللبناني على قائمة المنظمات الإرهابية هو في الواقع تبرئة للكيان الصهيوني من الجرائم الواضحة..." وهذه كانت المطرقة الثقيلة والصرخة المدوية الأخيرة على قادة منظمة التعاون الإسلامي في إسطنبول، والتي لم يكن لدى أحد سوى طلال سلمان الشجاعة للتعبير عنها. ولهذا كان كبار المفكرين والكتاب المعروفين في العالم العربي يتنافسون لنشر كتاباتهم وأفكارهم وتحليلاتهم في السفير. وكانت صحيفة السفير في كل فصول عمرها الأربعين، دائما، مصدر الفكر النضر في العالم العربي. اليوم لا نتحدث فقط عن «صحيفة» اسمها «السفير»؛ نحن نتحدث عن كنز ثمين وظاهرة فريدة في منطقتنا. كنز يمكنك باستعراض بسيط أن ترى الأسماء الكبيرة التي تحمل أفكارا سامية في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية تتلألأ على جبينها؛ أسماء مثل: الشهيد ناجي العلي، رسام الكاريكاتير الفلسطيني الشهير، محمد حسنين هيكل، ياسين الحافظ، سعد الله ونوس، بلال الحسن، عبد الرحمن منيف، سليم الحص، صلاح الدين حافظ، جوزيف سماحة، طلال عتريسي و...

على مدى أكثر من ٤٢ عاماً، بدأ جزء مهم من قراء العالم العربي يومهم بفارغ الصبر مع "السفير" واستيقظوا على النداء القلبي لديك الصباح هذا ورافقتهم التقلبات من حولهم لحظة بلحظة مع هذا المنبر البليغ. لكن للأسف، عشية العام الجديد، وبعد مرور سنوات عديدة لا تنسى، خفت هذا الصوت دون أن يريد إرادته.

ويأتي هذا القتل الصامت لحق السفير في وقت سقطت فيه الإمبراطورية الإعلامية التابعة للمحور العربي-العبري على المجتمعات العربية مثل الأخطبوط وتمزق جسد الأمة بالقوة. اليوم جاء دور «طلال سلمان» و«السفير»؛ ونأمل الا يسلب منا دومينو "القتل الصامت" الأصوات المؤثرة غداً.

ثم علينا أن نواجه مرارة النداء التي:

لم يعد نسمع صوت الفأس من بيستون بعد الآن
يبدو الأمر كما لو أن فرهاد قد ذهب إلى منام شيرين

التحليل الإخباري

رحيل شيخ كار.. الحب

مصطفى خازم
موقع العهد الاخباري

هو سابع "عواميد" بعلبك، وثامن أعمدة "السفير" "على الطريق" ويسار صفحتها الأولى لجهة القلب دائماً.. إنه طلال سلمان.. طبع الصحافة بوسمه المميز مع إطلالة أول أعداد "السفير في ٢٦ آذار/ مارس ١٩٧٤. أبو أحمد، كنيته المحببة، والأستاذ لأجيال من حَمَلة الأقلام والكتبة. هو ليس من جيل من ولدوا وفي فمهم ملعقة من ذهب، ولم يلج المهنة من باب الوراثة، بل صنع المجد بيديه حفرًا بحروف المطبعة، مصححًا، فمخبرًا عن الأحداث كما كان يسمى في أعراف الصحافة، وهو الأقرب إلى المراسل من أرض الحدث.

عاشق فلسطين الأبدي، ومتتبع آثار جمال عبد الناصر. كانت كلماته القصار أعلى الصفحة الأخيرة من كل عدد، إمّا تحفيزية وإما تعريفًا أو شرحًا لمفهوم. يضحك حين يخبر كيف دخل عليه ياسر عرفات (أبو عمار) حاملًا بندقية على كتفه وبيده أول بيانات الثورة الفلسطينية، ويمتد الخيط طويلاً حتى آخر زفرة خرجت من صدره حبًا للقدس ويافا. لم تكن مفكرته تتسع لأرقام هواتف الزعماء والرؤساء. يطير من بلد إلى بلد، حتى انتصار الثورة المظفرة في طهران، فخرجت "السفير" تحمل مانشيتًا بالفارسية "بهمت خميني.. شاهنشاه دربدرشده" أي بجهود الخميني.. الشاه إلى السجن.".

هو شيخ طريقتنا في عشق المقاومة ورجالها، والقلم الذي بقي يكتب رغم نزف الصدر والوجه بعد محاولة الاغتيال الآثمة في رأس بيروت وأمام منزله. كنت أرقبه يوميًا في صباحات الاجتياح وأنا أدلف إلى مطابع "النهار" التي كانت تطبع من الصحف ما كايد الاحتلال وبقي يصدر في صيف الانتصارات وحصار بيروت في العام ١٩٨٢ والذي في مثل هذه الأيام كان انكساره على شواطئ عين المريسة، وشوارع الحمرا و"الويمبي" وصيدلية بسترس وجسر سليم سلام، ما جعلهم ينادون عبر مكبرات الصوت: "لا تطلقوا النار.. نحن راحلون". يقف شامخًا كأحد أعمدة بعلبك، ببزته الزرقاء ولفافة التبغ في يده، أحني رأسي مصبّحًا، فيرد التحية ببسمة، كما نسمة الذي تقمصه أو تقمصه والذي لم يعرف له مهنة إلا الحب.

رفيق "حنظلة" في كلمات "أيوب" مثل هذه الأيام على أبواب محال شارع الحمرا. لكأنما شاء الله أن يرحل وهو مطمئن أن زمن الانتصارات بزغ فجره قبل أربعين ليلة وليلة لأن السنوات أمامه ليست الا يومًا أو بعض يوم.. خانه القلب ولم تخنه الكلمات يوماً.

أبو أحمد الأنيق، المهذب، هادىء الملامح، كأسد معبد باخوس، وهدير كلماته كما الرياح في السهل الممتنع بقاعًا على الأعداء يدوي ويرعد على الجبناء والخونة. أبو أحمد لك منا كل الشكر، والعرفان، والامتنان، فنحن مريدو طريقتك، سنفتقد مخملية عباراتك، وبديع وصفك ورسمك ولوحات حروفك، ورائحة تبغك وسبحة أورادك الفلسطينية، لكن عهدًا سنتابع الجد في حلقتك لنصلي في القدس.

حداداً على آخر روّاد الصحافة العربية

محمدمهدي شريعتمدار
المستشار الثقافي الإيراني السابق

الوفاق- تُعتبر فترة السبعينيات فترة إستثنائية وغير قابلة للتكرار بالنسبة لجميع الناشطين والخبراء في تطورات غرب آسيا والقضية الفلسطينية والعلاقات الإيرانية - العربية.

في الميدان

في الميدان، كان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عقب أيلول الأسود في الأردن عام ١٩٧٠ ووجود عدد كبير من المقاتلين الفلسطينيين في ذلك البلد، الذي أدى إلى الإخلال بتوازن القوى، تأسيس الحركة الوطنية اللبنانية وبدء نشاطها عام ١٩٧٣ وحركة أمل عام ١٩٧٤، الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥ ودخول آلاف القوات العسكرية السورية تحت اسم قوات الردع العربية عام ١٩٧٦، قيام الجنوب وإنشاء الجيش اللبناني منطقة عازلة في جنوب هذا البلد لدعم مصالح النظام الصهيوني في العام نفسه، إنشاء جبهة الثبات والمقاومة عام ١٩٧٧، إجتياح الجيش الصهيوني للأراضي اللبنانية في عام ١٩٧٧، عام ١٩٧٨ وعملية الاحتلال التي استمرت حتى عام ٢٠٠٠، إنتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وما نتج عنه من تغيرات في لبنان، والذي أدى في نهاية المطاف إلى تأسيس حزب الله والمقاومة الإسلامية مطلع الثمانينات، وبعد سنوات أسس محور ومشروع المقاومة في المنطقة، الذي واجه مشروع الاستكبار والصهيونية والاحتلال والتبعية والهزيمة الذاتية والتكفير وإرهاب داعش انتصارات عظيمة عطّلت موازين القوى في المنطقة، كلها تطورات خلقت أجواء فريدة في تاريخ العالم كله، الأمر الذي كان فريداً ومتكرراً بالنسبة لجيل الناشطين السياسيين في ذلك الوقت، وهو أمر مستحيل.

في مجال الفكر والسياسة والحركة الإسلامية

في مجال الفكر والسياسة والحركة الإسلامية، لاسيما في المجتمع الشيعي في لبنان، ظهر ثلاثة علماء مجاهدون إسلاميون، هم: المرحوم السيد موسى الصدر، والشيخ محمدمهدي شمس الدين، والسيد محمدحسين فضل الله في الستينيات، حيث بذلوا جهوداً كبيرة منذ بداية السبعينات وما بعدها، وأنشأوا مؤسسات شيعية تعليمية وخدمية وخيرية؛ وبعد ذلك، مجيء بعض رجال الدين الإيرانيين مثل السيد عيسى الطباطبائي والسيد محمد غروي وغيرهم في نفس العقد، تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان وانتخاب السيد موسى الصدر رئيساً له عام ١٩٦٩ والشيخ محمدمهدي شمس الدين عام ١٩٧٥، ظهور الحركات الإسلامية الشيعية مثل حركة الشباب المسلم ودور الشهيد محمد صالح الحسيني الذي انضمّ فيما بعد إلى المرحوم السيد هاني فحص. وعشية انتصار الثورة الإسلامية، أسست لجان العمل الاسلامي، ونشاط حزب الدعوة الإسلامية وفرعه الطلابي النشط جداً يعني إتحاد الطلاب المسلمين اللبنانيين والتي أصدرت مجلة "المنطلق" الخالدة، تشكيل اللجان الإسلامية والتي بعد انتصار الثورة قامت بالتعاون مع لجان العمل الاسلامي ومكتبة الشهيد مطهري بإطلاق لجان الدعم للجان الإسلامية. قيام الثورة الإسلامية الإيرانية، بالإضافة إلى وجود مقاتلين إيرانيين في هذه الفترة في صفوف فتح وأمل، فإنهم جميعاً يشكّلون فصلاً هاماً من فصول الحركة الإسلامية الشيعية وحركة الفكر السياسي الشيعي في العصر المعاصر.

حداداً على آخر روّاد الصحافة العربية

في مثل هذه الأجواء، شكّلت فسيفساء الجماعات السياسية في لبنان، التي كانت مرآة للأفكار السياسية للعالم، وبالتالي حرّية الفكر والتعبير والصحافة والأحزاب، نموذجاً فريداً على الأقل في العالم العربي، وجعل من لبنان موطناً للمثقفين والمقاتلين العرب والمسلمين.

"السفير؛ جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان" أو "صوت مَن لا صوت له" أصدرها المرحوم طلال سلمان الذي وافته المنية يوم ٢٥ أغسطس، في مثل هذه الظروف في مارس ١٩٧٤. ورغم أن له تاريخاً حافلاً بالجهود الصحفية في مجلات: النضال، والشرق، والحوادث، والأحد، والصياد، كما أصدر مجلة دنيا العرب في الكويت منذ فترة، إلا أنه كان من الصعب عليه منافسة صحيفة النهار التي دخلت عالم الصحافة قبله بـ٤١ عاماً عام ١٩٣٣ كان عملاً شجاعاً. وصادف أن كانت صحيفة السفير الوطنية اليسارية التي دافعت عن الحركة الفلسطينية والمقاومة الإسلامية لاحقاً، في منافسة شديدة مع صحيفة النهار اليمينية، وأبلت بلاءً حسناً في مهمّتها الصحفية.

الدور الدائم للسفير وطلال سلمان

في الدور الدائم للسفير وطلال سلمان، الذي ينبغي اعتباره رائد الصحافة العربية بعد محمدحسنين هيكل، ذلك أيضاً في بداية عصر ضعف الإعلام المرئي والمسموع وقلة الإعلام الإلكتروني، يكفي التي كتب فيها أشخاص عظماء ذوي إهتمامات متنوعة مثل عصمت سيف الدولة، وجورج قرم، وبلال الحسن، وعبدالرحمن منيف، وطارق البشري، وسليم الحص، وفهمي هويدي، وكانت هذه الجريدة موطن الراحل رسّام الكاريكاتير السياسي العربي ناجي العلي الذي، بعد نحو نصف قرن من مقتله في لندن، لا يزال لم يظهر له خليفة.

قد التقيت وتحدّثت مع طلال سلمان عدة مرات وفي مناسبات مختلفة، وخلال مهمتي كمستشار ثقافي لإيران في لبنان، قمت بالترتيب لرحلته إلى إيران التي استضافتها المديرية العامة للصحافة والإعلام الأجنبية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. رغم أنها لم تكن رحلته الوحيدة لإيران، ورافق الإمام الخميني من باريس إلى طهران في تلك الرحلة التاريخية وأجرى مقابلة مع مؤسس الجمهورية الإسلامية. لسوء الحظ، فإن طلال سلمان الذي كان إجراؤه المقابلات مع العديد من القادة العرب جزءاً مهماً من جهوده، فرغم إشتراطه قبل الرحلة وإصرار المستشارية الثقافية لإيران في لبنان وجهود الإدارة العامة للصحافة والإعلام الأجنبي، إلا أنه لم يتمكّن من إجراء حوار مع السيد روحاني رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية آنذاك.

لا أعرف مَن قال إن السياسي ليس مَن يعرف متى يدخل الساحة السياسية، بل مَن يعرف متى يخرج من الساحة السياسية وينصرف. كان طلال سلمان أحد السياسيين والصحفيين الذين أعلنوا إغلاق صحيفة السفير بعد ٤٢ عاماً في ربيع عام ٢٠١٥ في ذروة شهرته، بل الحاجة إلى وجوده. وإذا كان ما سمعته من بعض المصادر أن ذلك كان لأنه لم يكن يعلم ولم يكن متأكداً من الطريقة التي ستتبعه بها الصحيفة، فإن هذا الرأي وبراعته وحرصه على الحفاظ على السفير في ما يقرب من نصف قرن من الاضطرابات السياسية في المنطقة. بالنسبة لجيل اليوم، قد يكون الإعلام المكتوب قد فقد مكانته؛ لكن رسالة السفير ودورها في مسار الفكر السياسي والعمل والنضالات في نصف القرن الماضي سيظل مشرقاً.

وفي نهاية هذه المذكرة، سأذكر مجلة السفير الشهرية وأكثر من عشرة من أعماله المنشورة، وأطلب من المهتمين بالارتباط بين نخب إيران والعالم العربي نشر مذكّراته في مجال الصحافة بكتاب تحت عنوان "كتابة على جدار الصحافة" باللغة الفارسية.

لتخلد ذكرى طلال سلمان وكل المناضلين وأهل القلم والصحافة في فترة المقاومة الوطنية العربية وعصر ما قبل المقاومة الإسلامية.